

عندما جلس الشيخ رضا شطا إلى أندريا إلبوت - الصحفية في صحيفة الـ (نيويورك تايمز) - في حوارهما الأول، لم يكن يخطر بباله أن هذه الصحفية الشابة ستستطيع إخراج موضوع عن حياته يدهش العالم، ويؤهلها للفوز بجائزة البولتزر العالمية. لكنها فعلت، ففازت هي بالجائزة، ووجد الشيخ رضا نفسه - بين ليلة وضحاها - واحدا من أكثر أئمة المسلمين شهرة على مستوى العالم.

فبعد أن نشرت New York Times في مارس 2006م ذلك التحقيق عن حياته كرجل دين مسلم يحاول خلق توافق بين ثقافتين مختلفتين، تواردت عليه قنوات تلفزيونية أوروبية وآسيوية بالإضافة إلى مؤسسات الإنتاج الإعلامية الخاصة لإنتاج وثائقيات عنه.

**(الراصد)** تسلط الأضواء، في وقفات سريعة، على رحلة الشيخ رضا شطا من قرية (كفر البطيخ) الصغيرة في ريف مصر إلى العالمية، وما رافقها من أزمات وتحديات، في محاولة جادة جديدة للإقتراب أكثر من ....

الصحفية (إلبوت) نفسها تفاجأت بردة الفعل الإيجابية جدا من قبل قطاعات المجتمع الأمريكي لموضوعها ذلك، وأستلمت كمية هائلة من الرسائل، التي أشاد أصحابها بموضوعها عن الشيخ رضا شطا، وكيف أن موضوعها غير نظرتهم للأبد عن المسلمين، إلا أن أكثر الرسائل ملامسة لشغاف قلبها - كما تقول- هي رسالة كتبها سيده من ولاية تكساس تقول فيها:

«لقد كنت جبل الجليد الذي أذبتيه!» .

## رضا شطا: الإمام الذي أحبته أمريكا



التربية الإسلامية في مدرسة ثانوية، وأستطاع توفير مبلغ من المال من رحلة العمل تلك، فعاد إلى كفر البطيخ و أفتتح محل مفروشات وبدأ العمل في التجارة إلى جانب عمله في الدعوة والأوقاف. ولم يمضى الكثير من الأعوام، حتى كان باب الهجرة يفتح من جديد، لكن هذه المرة في إتجاه مختلف.

❖ ❖ ❖

### الإتجاه غربا

في العام ٢٠٠٠ غادر الشيخ رضا إلى مدينة ستوتغارت الصناعية في ألمانيا، ليأمن أحد مساجدها. ويقول الشيخ رضا عن تجربته تلك: «كانت نضحة حرية جديدة.. رأيت فيها عالما أكبر». إلا أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر في عام ٢٠٠١، غيرت كثيرا من حياته هناك، فبدأت العنصرية تثير قلقه، وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير عندما تفاجأ المسلمون في ستوتغارت بإهانات كتبت بالفضلات البشرية على الجدران الخارجية للمسجد الذي يأمن فيه الشيخ رضا، الذي أدرك أنه لا مقامة له هناك. وجاءت فرصة للمغادرة بعرض للعمل في مدينة بروكلين في نيويورك بعدها بعام، وقبل الشيخ رضا العرض.

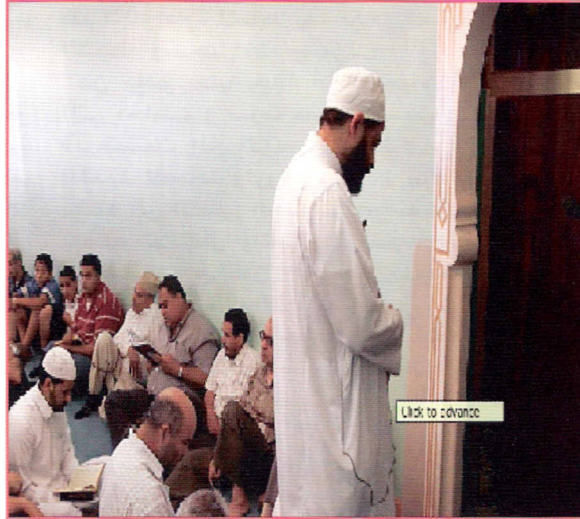
❖ ❖ ❖

### في بلد العم سام

وصل الشيخ رضا إلى أمريكا للعمل في مسجد مصعب بن عمير في منطقة البيريدج على الجادة الخامسة شمال شارع ٦٨ من مدينة بروكلين. ويعتبر هذا المسجد من أكثر المساجد نشاطا، كونه يقع في مركز الجالية العربية في هذه المدينة، ويصلي فيه عرب من جنسيات مختلفة تمثل الطيف العربي المهاجر، بالإضافة إلى بعض العجم المسلمين من الألبان والباكستان وبعض الأمريكيين السود.

في الولايات المتحدة، وجد الشيخ رضا جوا مفعما بالحرية الحقيقية وتجانسا غربيا بين الناس على اختلاف اعراقهم ولسنتهم، وراقت له هذه البلد كثيرا، وأحب عمله الجديد وأرتبط إرتباطا وثيقا برواد المسجد الذين أثار إعجابهم بضاحته وسعة إطلاعه.

وعلى الرغم من أن الشيخ رضا تمكن من الحصول على مسكن قريب من مقر المسجد، إلا أنه بالكاد كان يحصل على بعض الوقت للجلوس إلى أسرته. فالمسجد في أمريكا - على عكس المساجد في مصر- هو بؤرة الحياة الإسلامية، فهنا يتوجب على عليه أن يأمن الناس في فرائضهم اليومية، وأن يوفر لهم في حدود شخصه بدائل لمؤسسات إجتماعية كثيرة، ليحل لهم مشاكلهم الشخصية، ومشاكلهم الأسرية، ومشاكل أعمالهم، وزيادة على ذلك، عليه أن يكون



في أمريكا أدرك الشيخ رضا أن الإمام هو قائد وأب روعي للمجاميع

### من هنا تبدأ الحياة

بعد إنهاء تعليمه، عمل الشيخ رضا مع وزارة الأوقاف الإسلامية المصرية، والتي تشرف إشرافا مباشرا على المساجد والأئمة فيها، ولأقوى الشيخ الشاب قبولا كبيرا بين الناس، فذاع صيته وانتشر اسمه، وبدأ مسجده يزداد إزدحاما بالمصلين، وكان يحضر خطبة الجمعة التي يلقيها الكثير من المسؤولين، الذين أبدوا حبهم لهذا الشاب المتوهج في حماسته والمتسع الثقافة. وكانت تلك الفترة هي التي قرر فيها الشيخ رضا الزواج.

كان يبلغ من العمر ٢٢ عام حينما ذهب إلى منزل الشيخ الشبراوي، أحد قراء القرآن المجيدين في كفر البطيخ، ليطلب منه الزواج من أبنته أميمة التي تصغره بعامين. كانت الشابة واحد من أجمل فتيات القرية وأكثرهن ألقا، وتعلما حيث إنخرطت في دراسة الأدب الإنجليزي. وبالرغم من تقدم الكثير من المقتردين ماليا لها، إلا أنها كانت ترفضهم. كان الشيخ الشاب معده تمام، وتفاجأ عندما سمع صوت الفتاة يرتفع من خلف باب الغرفة التي يجلس فيها مع والدها بالموافقه.

❖ ❖ ❖

### الهجرة

كانت الحياة صعبة، ومتطلباتها كثيرة، ولم يجد الشيخ رضا بدا من التفكير بالهجرة. وتوفرت له فرصة عمل في المملكة العربية السعودية، التي لم ترق له كثيرا، لما وجد فيها من تزم وتشدد في الدين. وقضى الشيخ رضا فيها ٥ أعوام يدرس

في العام ١٩٦٨ كانت مصر تعيش حالة إحتقان شعبية خطيرة، جاءت كنتيجة للتعامل مع آثار هزيمة ٦٧ المره في حرب الأيام الستة مع إسرائيل، كان الشارع المصري جريحا منهكا وغاضبا، فانتشرت المظاهرات في شوارع المدن الكبرى، تطالب بالنار وحمل السلاح في حرب إستنزاف. كانت تلك هي الأجواء التي ولد فيها الشيخ رضا شطا في قرية (كفر البطيخ)، في شمال شرقي جمهورية مصر العربية، لمزارع وتاجر أسمدة من الطبقة الفلاحية الوسطى. توفيت أم الصغير مبكر، فتفق وعيه مبكرا على يتم مرير وحرمان، وحياء خشنة. كان منزله بسيطا، كمثل غيره من بيوت فلاحي كفر البطيخ، لم يكن هناك كهرياء، ولم يشاهد تلافزا إلا عندما بلغ الخامسة عشر من عمره.

كان فقدان أمه، وقسوة زوجة أبيه، مصدرا عذابا متكررة للصغير رضا، إلا أن جدته (لأمه) كانت ملاذا فردوسيا، يغترف منه الكثير من الحب والرعاية... وأكثر من ذلك مترعا للإيمان. ويتحدث الشيخ رضا عن أثر هذه السيدة في حياته، وكيف أنها علمته الإيمان؛ فيروي أنه كان إذا طلب منها نقودا تأمره بالذهاب إلى السجادة والصلاة وأن يطلب ذلك من الله ذلك، وتؤكد له أن الله سيعطيه ما يطلب بأن يضعها له تحت السجادة. يبتسم الشيخ رضا إبتسامة حزينة وهو يروي تلك القصة ويلق بصوت عميق: «كانت امرأة عظيمة».

❖ ❖ ❖

### رحلة العلم

في سن الخامسة، وكغيره من أطفال ريف مصر، بدأ الشيخ رضا بحفظ القرآن الكريم في كتاب قريته. والتحق بعدها في مدرسة حكومية يشرف عليها الأزهر، فأظهر نبوغا وشغفا فائقا بالقراءة بز فيه كثيرا من أقرانه، إلا أن فقره وعوزه كان عائقا له عن شراء الكتب، فكان يعمد إلى نسخ المئات من كتب المكتبة العامة بخط يده. بعد أن تخرج الشيخ رضا في دراسته الأساسية، إلتحق بجامعة الأزهر، وكان عليه التوجه إلى القاهرة ويتذكر الشيخ رضا مبتسما ساعاته الأولى في القاهرة، فيقول أنه كان كالأطفال الضائع: «كانت هناك السيارات، ولم يكن عندنا سيارات، وكانت الناس أشكالا وألوانا ورأيت كثير من الأجانب لأول مره... وبدت النساء على عكس نساء القرية، عاريات.. كان عالما من الخيال».

على الرغم من رغبة الشاب رضا شطا بأن يكون قاضيا، إلا أنه التحق بكلية الدعوة تحقيقا لرغبة والده، وتخرج منها بعد أربعة أعوام في المرتبة السابعة في دفعة من ٣٤٠٠ طالبا.

❖ ❖ ❖

وكالعادة لاقى الرجل الكثير من القبول والحب في أوساط جاليته الجديدة، ويكن الكثير منهم له حبا كبيرا.

وعلى الرغم من محاولاته الجادة في التأقلم مع وضعه الجديد، إلا أنه بدا لي في الفترة التي زرته فيها، وكأنه يفقد الحياة المشبعة نشاطا في بروكلين، فالحياء في مقامه الجديد أكثر رتابة وأبطأ وتيرة. لكنه يشعر مع ذلك بالإرتياح الكبير لما يراه من سعادة أسرته وما تجده في المكان وطبيعة الخلافة المحيطة به من متنفس حقيقي.

❖❖❖

جلست أرتشف الشاي مع الشيخ رضا في مكتبة منزله الجديد، عندما دخل الصغير محمد رشيد ذو العامين والنصف الغرفة، بدا لي كثير الشبه بوالده، نظراته ذكية وخطواته الصغيرة وثيقة، أعطاه الشيخ رضا شيئا شينا في يده وأمره بالمغادرة، فأستدار الصبي مقلدا وهو ينظر إلى في فضول وكأنه يتسأل عم من أكون. وعندما أبدت للشيخ دهشتي من أن يفهم محمد رشيد في تلك السن الصغيرة ما يقال له أو يطلب منه، فهقه الشيخ رضا من سداجة تعليقاتي وهتف بي ضاحكا: «الواد محمد رشيد ده يوديك البحر ويرجعك عطشان يا مولانا»، راق لي تعليق الشيخ رضا، فعدت أسأله عما يريد أن يجعل من الصغير، ونظر إلى الشيخ رضا وكأنه تفاعا بالسؤال، طأطأ رأسه لبرهة وعاد يرفعه وهو ينظر من خلال النافذة إلى الأفق البعيد، وكأنه يرنو إلى المستقبل هذه المرة، وجاء صوته هادئا وهو يقول: «أريده أن يكون شيخا».

وعجزها. غير أن الموقف تصعد، فاشتبك في عراقك بالأيدي بعض المساندين للشيخ مع بعض المعارضين له، وتلقى الشيخ تهديدات كثيرة، فلم تجد إدارة المسجد بدا من الإتصال بمخفر الشرطة وتسجيل بلاغ رسمي.

كان يبدو جليا جدا أن الأجواء الأخوية التي أحاطت و ميزت مسجد مصعب بن عمير قد تسمت إلى الأبد، وعلى الرغم من حبه الشديد للمسجد ولرواده، إلا أن تلك الأجواء دفعته إلى التفكير الجدي في عرضه قدمه إليه بعضهم للإنتقال والعمل في مسجد الأمان في ضاحية (ميديل تاون) الثرية من ضواحي ولاية نيوجيرسي. وأحار الشيخ رضا كثير، وفكر أكثر، فالأمر قاس والقرار «خطير» فدعا الله أن ييسر له الخير حيث كان. وأخير.. وذات فجر يوم سمع الشيخ رضا - كصوت يهتف به في همس: «مصعب صعب والأمان أمان»... وقدم أستقالته في نفس اليوم، وأنتقل بعدها إلى مسجد الأمان.

❖❖❖

## حياة جديدة

طبيعة الحياة في ضاحية (ميديل تاون) الثرية، جاءت بمعطيات جديدة، ففي حين أن معظم رواد مسجده الجديد من الأطباء والمحامين ورجال الأعمال الأثرياء، إلا أن هناك قضية الإندماج في هذه الجالية التي تبدو متأنفة مع محيطها الأمريكي أكثر من تلك في بروكلين، يضاف إلى ذلك الحاجة إلى تعلم نظام حياة جديد. إلا أن الشيخ رضا بدأ فعلا بالإندماج، فقد تعلم قيادة السيارات، وشرع في تعلم اللغة الإنجليزية،

## العاصفة

بعد أن نشرت صحيفة النيويورك تايمز تحقيقها عن الشيخ رضا شطا في ثلاث حلقات متتالية على صفحاتها الأولى في ثلاثة أيام متوالية. وجد الشيخ رضا نفسه شهيرا بين ليلة وضحاها، وأدرك أن عليه أن يواجه التحديات التي تأتي بها الأضواء. وعلى الرغم من إستعداده النفسي لذلك كونه أمضى سنينا كثيرة تحت المجهر العام كأمام وقائد للجالية، إلا أن آخر ما كان يتوقعه هو أن تبدأ العاصفة في الفناء الخلفي: في وسط الجالية التي أحب.

ففي تلك التحقيقات تحدث الشيخ رضا عن قضايا شائكة شرعيا من تلك التي يتوجب على المسلم التعامل معها عاجلا أم آجلا بحكم طبيعة الحياة هنا: كالتعامل بالفوائد البنكية، والحديث عن الوضع السياسي في العلاقة مع اليهود و عدم جواز العمليات الإنتحارية في المناطق المدنية، بالإضافة إلى قضايا شخصية مثل الإتصال الجنسي الضمي (عن طريق الفم).

وأخذ الشيخ رضا موقف التيسير في الأمر كله معتمدا على قناعة لديه أن «الدين يسر»، وكان يعرف أن عقله العامة تعتقد أن العالم الممتاز هو الذي يتشدد في الدين، ويقول أن قراءاته في التاريخ الإسلامي تقول له العكس تمام. كان الشيخ رضا يتوقع (كما قال لي) معارضة لأي من آرائه إلا تلك المتعلقة بالإتصال الجنسي الضمي -كون الكثير من العلماء الكبار تحدثوا فيها قبله وأجازوها بين الأزواج.

لكن مجموعة من من رواد المسجد أثاروا بقوة، وقاموا بتوزيع منشورات تتهمه بالضلال و «محاياة الكفار» على حساب الدين، ولم يجد الشيخ رضا من مناظرتهم علنا، وتبدى - كما يقول الشيخ رضا - من تلك المناظرات ضعف حججهم



تصوير: جيمس أيسترن (نيويورك تايمز)

يؤذن في أذن مولود جديد أثناء إحدى زيارته لمستشفى لوشرن.